جامعـة المنصــورة
كليـــة التربية
–

القيم التربوية لسنة الابتلاء في ضوء التربية الإسلامية

إعداد
الدكتورة/ خيرية جميل ياسين السليماني
أستاذ مساعد - قسم أصول التربية
كلية الدراسات العليا التربوية
جامعة الملك عبدالعزيز – جدة

مجـــلة كلـــية التربية – جامعـــة المنصـــورة
العدد ١١١– يوليو ٢٠٢٠

القيم التربوية لسنة الابتلاء في ضوء التربية الإسلامية

خيرية جميل ياسين السليماني

المستخلص:
هدفت الدراسة إلقاء الضوء على القيم التربية لسنة الابتلاء في ضوء التربية الإسلامية واستخدمت الدراسة المنهج الاستنباطي الاستدلالي والمنهج الوصفي التحليلي لبعض النصوص الشرعية بما يخدم هدف الدراسة.
وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج كان منها: أن الابتلاء أمراً تكليفياً لا اختيارياً يتُعبد الله به ليس للعبد سوى التسليم والانقياد. كما أن صور الابتلاء تتعدد وتختلف أنواعها بين الأفراد بعضهم البعض وتختلف أيضا من مرحلة لأخرى وفي عموم اختلافها تخضع لتربية الأفراد من لدن الحكيم الخبير. كما تتجلى في مواقف الأنبياء عليهم السلام نماذج وضاءة لسلوكهم الأخلاقي في التعامل مع الابتلاء والمحن يؤمر الفرد الاقتداء بهم. إضافة أن الابتلاء يكشف العديد من القيم التربوية العظيمة كالقيم الإيمانية والقيم الأخلاقية والقيم الفكرية والقيم النفسية والقيم الاقتصادية. وتختلف الأساليب التربوية التي ينبغي للمبتلى اتباعها لطبيعة الفرد وأيضاً تختلف بحسب مقتضى الحال.
كما أوصت الدراسة بعدة توصيات: ضرورة استكمال الدراسات والأبحاث العلمية في باقي السنن الإلهية من منظور تربوي لما لها من آثار تربوية في إصلاح فكر الأفراد وتعديل سلوكياتهم. إضافة ضرورة عقد دورات تربوية تدريبية مختصة في التعامل مع الابتلاء والأزمات وحل المشكلات وتوضيح الأساليب التربوية الفعلية في ذلك.

Educational Values for of the Prophet Tradition with Affliction in View of Islamic Education

ABSTRACT

The study aimed to reveal the educational values of the Prophet tradition with affliction in view of Islamic education. The study used the deductive inferential approach and the descriptive analytical approach for some sharia texts to serve the objective of the study.

The study reached several findings, including: That affliction is a mandatory matter, not an optional one, through it Allah is worshiped and the man has nothing but submission and following. Also, the forms of affliction vary and their types differ between individuals and they differ from one stage to another, and in general their differences are subject to the education of individuals from Allah. Also clear examples of their ethical behavior in dealing with affliction and tribulations are reflected in the situations of the prophets, *peace be upon them*, and the individual is instructed to follow them. In addition, the affliction reveals many great educational values, such as faith values, moral values, intellectual values, psychological values, and economic values. The educational methods that the afflicted person should follow differ according to the nature of the individual and also as the situation may be.

The study also recommended several recommendations: It is necessary to complete the scientific studies and research in the rest of the divine ways from an educational perspective as they have educational effects in reforming individuals' thought and modifying their behavior. In addition, it is necessary to hold specialized educational training courses in dealing with affliction and crises, solving problems and clarifying the actual educational methods in this.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...
خلق الله سبحانه وتعالى الحياة الدنيا وسن فيها قوانين إلهية تحكم سير الحياة والتعايش بين الخلائق وهذه السنن ثابتة لا تتخلف ولا تتبدل ولا تتغير فهي تسعى وفق نسق معين تنظم الحياة الإنسانية وترسم صورة نموذجية عن طبيعة الحياة والعلاقات بين الناس وماذا يراد منهم، وكيف ينبغي لهم أن يكونوا قال تعالى:" قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين" [الأنعام:١١] وقال سبحانه :"سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً". [الإسراء:٧٧] والسنن الإلهية تنقسم إلى قسمين: النوع الأول: السنن الكونية والنوع الآخر: السنن الاجتماعية. والسنن الاجتماعية تؤثر في المجتمع عامة والإسلامي خاصة وهي كثيرة منها: سنة التدافع، وسنة التماثل والأضداد، وسنة التخيير وأيضاً سنة الابتلاء.
إن سنة الابتلاء تُدثر الإنسان وتكسوه من كافة جوانب حياته بخيرها وشرها لتستجلي الهدف والغاية العظمى لخلقه وإيجاده وهي تحقيق العبودية لله تعالى حيث قال سبحانه: "الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً". [الملك: ٢]. فشاء المولى سبحانه أن خلق الحياة وجمع فيها بين المتناقضات والأضداد من الخير والشر، كما أنه جعل لكل شيء نهاية وزوال، فخلق النباتات وجعل لها الحشرات والدود والآفات التي تأكلها، وخلق الحيوانات وخلق لها فيروسات تقضي عليها، وخلق الإنسان وجعل أمامه جيش من الأعداء كالأمراض والإعاقات والفيروسات التي تؤدي صحته وتحارب جسده وتقضي عليه، وجعل آفة الفقر التي تسلب المال وتعرقل النمو الاقتصادي وتولد البطالة وخلق شياطين الإنس والجن لتحاربه وتصارعه. وهذه الابتلاءات لم يسلم منها حتى الأنبياء الكرام: "وكذلك جعلنا لكل نبي عدو شياطين الإنس والجن". [الأنعام:١١٢] آية صريحة تحمل الجمع والتعميم في أحقية هذا الابتلاء، وأن وقوعه حق وفرض وإلزام؛ فالدنيا دار ابتلاء وأرض لتدافع هذه المتناقضات وصراع الخير والشر، وهي أمور تزعج الإنسان وتطارده طوال حياته، فيتقلب بين السراء تارة والضراء تارة وكلاهما ابتلاء حتى يلقى الله ويذهب إلى دار السلام، فالابتلاء كما بينه زيدان أنه قدر حتمي وظاهرة ملازمة للخليقة رافقتها منذ نشأتها. [زيدان، ١٤١٣هـ، ص٨٢]. وقد بين بعض الباحثين في دراساتهم وأبحاثهم ضرورة تناول موضوع الابتلاء والحديث عنه في العمل التربوي الإسلامي لأجل يفهم الناس طبيعة الحياة الدنيا وصعوبة الطريق ومشاقه وتهيئتهم في توطين النفوس على ما قد يعترضها من أزمات وشدائد وعقبات فيخفف على أهل البلاء ما يقاسونه من تعب ونصب.[بابير، ١٤٣٧هـ]، [أبو سخيل، ١٤٢٨هـ] كما ذكر الأنس أن موضوع الابتلاء لا يُكشف وتنقشع غمامته بالأماني والتمني وإنما يتطلب إلى الجهود المنظمة والسعي الحثيث والخطط المحكمة ويتأثر بالأعمال الجيدة للوصول إلى النتائج المحددة المطلوبة [الأنس، ٢٠٠٧م، ص١٨].
بناء على ما سبق جاءت الدراسة الحالية في تناول موضوع سنة الابتلاء من منظور تربوي إسلامي وكيف يمكن للتربية الإسلامية أن تعين الفرد على التعامل والتعايش مع الابتلاء ومواجهته بحكمة واقتدار.

مشكلة الدراسة:

يقول الله تبارك وتعالى :" أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون" [العنكبوت:٢] ومعنى الفتنة هو الامتحان والابتلاء (الطبري، ١٤١٥هـ ، ص٣٩٦). وقال صلى الله عليه وسلم عندما سئل أي الناس أشد بلاء؟ فأجاب عليه الصلاة والسلام:" الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه" (الترمذي،١٤١٩هـ ، حديث ٢٣٩٨) فدلالة النصوص تؤكد حتمية الابتلاء

على الإنسانية والمؤمن خاصة وأنه أمر مقضي لا مفر منه ملازم لحياة الفرد وأن وقوع الابتلاءات للمؤمن هي لحكمه يعلمها الله عزوجل تظهر بعض تلك الحكم وتخفى أخرى. يذكر ابن القيم رحمه الله في كتابه [شفاء العليل] لو تأمل أمثالنا من حكم الله سبحانه وتعالى في ابتلاء لخلقه وتدبرنا فوائده لزاد ذلك على آلاف المواضع والحكم مع قصور أفكارنا ونقص إدراكنا وتلاشي علوم الخلائق أمام علم الله علام الغيوب كتلاشي نور الصباح أمام الشمس وهذا تقريب وإلا فالأمر أعظم من ذلك وفوق التصور [الجوزية، ٢٠١٠، ص ٤٩] وبناء على ما سبق تأتي الدراسة الحالية في تحديد موقف التربية الإسلامية أمام هذه السنة الإلهية في كيفية تربية الفرد للتعايش مع الابتلاء والتعامل معه وكيف تمنح التربية الإسلامية أفراد المجتمع الإسلامي القدرة على التكيف مع تناقضات هذه الحياة وشدائدها . فكانت الدراسة الحالية محاولة بحثية في الإجابة على السؤال المحوري:

ما القيم التربوية في سنة الابتلاء في ضوء التربية الإسلامية؟

ويتفرع من السؤال الرئيسي عدة تساؤلات فرعية:

١. ما سنة الابتلاء؟ وما أنواعه؟ وما خصائصه؟
٢. ما موقف الأنبياء من الابتلاء؟ وكيف كان سلوكهم الأخلاقي؟
٣. ما الأساليب التربوية المتبعة في التعامل مع الابتلاء؟ وما القيم التربوية المنبثقة منه؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١. التعرف على سنة الابتلاء وأنواعه وخصائصه من منظرو تربوي.
٢. إلقاء الضوء على بعض صور الابتلاء التي تعرض لها الأنبياء والمرسلين عليهم السلام لمعرفة السلوك الأخلاقي الأنموذج لهؤلاء الصفوة من الناس في مواجهة الشدائد.
٣. معرفة الأساليب التربوية الإسلامية المتبعة في كيفية التعايش والتعامل مع الابتلاء والقيم التربوية فيه.

أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية الدراسة الحالية نظراً لحاجة الميدان التربوي له للأسباب التالية:

١. قلة الأبحاث – حسب علم الباحثة – التي تناولت السنن الإلهية عامة وسنة الابتلاء خاصة وأن الابتلاء حكمه إلهية في الحياة الإنسانية وهو قدر حتمي يستلزم معرفته وفهمه.
٢. تزاد الحاجة لدراسة الابتلاء دراسة تربوية لكثرة وقوعه وشدته في الوقت الحاضر وبالمقابل ضعف الفكر التربوي للأفراد والمجتمعات في معرفته والقدرة على مواجهته والتعايش معه.
٣. دراسة القيم التربوية الإسلامية لسنة الابتلاء ضرورة تربوية لكل من شأنه العمل في الحقل التربوي من الآباء والأمهات والمعلمون والمربون والمصلحون والمفكرون فهي تمدهم بمشكاة يستضيئون بها في التربية والتعليم.

حدود الدراسة:

الحدود الموضوعية: تنحصر حدود الدراسة في موضوع الابتلاء على الأفراد وما يلحقهم من صعوبات دون المجتمعات.

منهج الدراسة:

تتناول الدراسة موضوع الابتلاء كما جاء في بعض الآيات القرآنية والسنة النبوية وهذا يستدعي استخدام الاستنباطي الاستدلالي لاستخراج المعرفة من النصوص الشرعية. إضافة إلى استخدام

المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف ظاهرة الابتلاء والوقائع ذات العلاقة ونقدها وتقويمها ومن ثم تقديم الحلول التربوية المناسبة.

الدراسات السابقة:

توجد عدة دراسات تناولت سنة الابتلاء هي على النحو التالي:

- دراسة [بابير، ١٤٣٧هـ] تناول الباحث في دراسته موضوع الابتلاء وعلاجه بالصبر مستخدم المنهج الاستقرائي والاستنباطي حيث جمع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تتمحور حول الابتلاء والصبر وفسرها وعلق عليها فكانت دراسته شرعية أسفرت نتائج دراسته أن الابتلاء واقع بالمؤمن لا محالة وأنه متتابع ومستمر حتى يلقى الله وأن المؤمن مطالب بالصبر وحسن الظن بالله والثقة به سبحانه فهو زاده في دار البلاء.
- دراسة [سيلان، ٢٠١٤م] حيث تناول الباحث موضوع الابتلاء في القرآن الكريم مستخدم المنهج الاستقرائي الاستنباطي وكانت أهم نتائج دراسته أن الابتلاء مرتبط بحياة الإنسان فما دامت هناك حياة فهناك حتما ابتلاء، وأن الابتلاء نوعان: نوع عام لكل البشرية ويتمثل في الكدح والتعب والشقاء في طلب الرزق وسبل الحياة، ونوع آخر خاص بالمؤمنين عبارة عن التمحيص والاختبار لإيمانهم وثباتهم وأن الجزاء من جنس الابتلاء إذا صبر العبد على ذلك.
- دراسة [الأنس ، ٢٠٠٧م] تناولت الدراسة سنه الابتلاء في القرآن الكريم، وقد استخدمت الدراسة فيها المنهج الاستقرائي والاستنباطي وقد تطرقت الدراسة لمفاهيم مرادفة للابتلاء كالفتنة والمحنة والمصيبة وتناولت الحكمة من وقوع الابتلاء على العبد وذكرت بعض مظاهر الابتلاء التي تقع للإنسان وموقفه منها، وتوصلت إلى عدة نتائج من أهمها وجوب تقوية إيمان العبد لمواجهة شدائد الحياة وابتلاءاتها وصد الفتن ومضلاتها كما يتوجب التخلق بالصبر والتصبر في سبيل ذلك وأن الابتلاء يقع للحد من غرور الإنسان وطغيانه وتجبره.
- دراسة [أبو سخيل، ١٤٢٨هـ] هدفت الدراسة إلى التعرف على أهم الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء في الفكر التربوي الإسلامي واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاستنباطي، وأسفرت عن عدة نتائج كان من أهمها أن سنة الابتلاء تجلي طبائع الناس وتكشف معادنهم وهي مبنية على مدى فهم الإنسان وقدرته على الاختيار بين الخير والشر. كما أن المؤمن يتعرض للعديد من الابتلاءات العامة والخاصة وتختلف هذه الابتلاءات أيضاً في نوعيتها وأوضحت النتائج إلى بعض الأبعاد التربوية على الجوانب الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية.

وعند استقراء الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالية اتضح وجود بعض الثغرات البحثية التي لم يتطرق إليها الباحثين ؛ إذ أن دراسات [بابير، ١٤٣٧هـ] و[سيلان، ٢٠١٤م] و [الأنس ، ٢٠٠٧م] قد تناولت موضوع الابتلاء بصورة شرعية عامة لم تتطرق للجوانب التربوية فيها، بينما دراسة [أبو سخيل، ١٤٢٨هـ] كانت دراسة تربوية تناولت موضوع الابتلاء في المجتمعات ولم يتطرق للابتلاء وأثره على الأفراد، واقتصر الباحث فيها على بعض الأبعاد التربوية ولم يشملها كاملة، ومن هنا جاءت الدراسة الحالية لتتناول جانب مهم وهو ابتلاء الأفراد على وجه الخصوص ومايواجهونه من أمراض أو مشاكل اجتماعية أسرية ونحوه كما تطرق الدراسة لابتلاء الأنبياء عليهم السلام وسلوكهم الأخلاقية الأنموذج في مواجهة الابتلاء والتعامل معه كما يميز الدراسة الحالية عن سابقتها تناول محور الأساليب التربوية المعينة على معالجة الابتلاء وكيف

تساعد الفرد المبتلى على مشكلته وتمده بالحلول، وتناولت القيم التربوية المستنبطة من سنه الابتلاء للاستفادة منها في الحاضر واستشراف المستقبل.

تعريف سنة الابتلاء:

السنة: المعنى اللغوي للسنة: يذكر الجرجاني أن السنة هي الطريقة سواء كانت مرضية أم غير مرضية [الجرجاني، ١٩٦٩م، ص٢٣٧] والسنة في معجم ألفاظ القرآن سن الشيء أي صُبْ في قالب والسنة بمعنى الطريقة والخطة المتبعة، وسنة الله: أي ما جرى به نظامه في خلقه. [مجمع اللغة العربية ،١٩٧٠م، ج١، ص٦٠٢].

والسنة في المفهوم الاصطلاحي: هي الطريقة المتبعة والمنهج القائم بأمر الله في تعامله للناس حسب أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم ومواقفهم من أنبيائه وشرعه وما يقتضي ذلك من نتائج دنيوية. [زيدان، ١٩٩٣م، ص١٣].

الابتلاء: المعنى اللغوي للابتلاء: الابتلاء مصدر الفعل بلاء يبلو وابتلاه بمعنى جربه واختبره والبلاء والابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان [ابن منظور ، ١٩٩٠م، ج١٤، ص٨٤] ومنه قوله تعالى:" ونبلوكم بالشر والخير فتنة" [الأنبياء: ٣٥] وللابتلاء معاني مرادفة كالمصيبة والشدائد والغم والحزن [مصطفى وآخرون ، ١٣٨١هـ ج١ ، ص ٧١]

المفهوم الاصطلاحي للابتلاء: يرى أبو سخيل الابتلاء بأنه القاعدة الثابتة المطردة التي تجري على كافة الناس في معرفة حالهم وأعمالهم اختبارا وتمحيصا لهم وفقاً لمشيئة الله تعالى. [أبو سخيل، ١٤٢٨ه، ص٦].

تعتبر سنة الابتلاء ظاهرة وجدت مع قدم الخليقة ومرتبطة مع العقيدة الإسلامية قال تعالى: "أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون. ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين". [العنكبوت: ٢-٣] فالحياة الدنيا قد يراها الإنسان تسير بصورة ديناميكية قد توقعه في غفلة عن الغاية العظمى في الحياة فيأتي قدر الله بأمر مخالف لما اعتاده الناس فيه من المشقة والكدر والصعوبات، بل قد يحدث في بعض الحالات للأفراد استحالة العلاج والاستشفاء من العلل والخروج من المآزق الذين وقعوا وابتلوا بها فيتسأل الإنسان: لماذا حدث هذا؟ وكيف حدث؟ لماذا وقع لي هذا الابتلاء دون غيري ؟ لماذا لم تجعل الحياة سهلة ميسرة دون تلك الأزمات والتعقيدات؟ لماذا صُممت على هذا النمط؟

التربية الإسلامية تربي المسلم تربية إيمانية سليمة تربطه بالله في جميع أطوار حياته الدنيوية والأخروية، تربية إيمانية بالله واليوم الآخر وترسخ فيه مفاهيم عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره والتسليم والانقياد وأن أمر المؤمن كله خير، إضافة أن الابتلاء يكشف حجم النعم العظيمة التي تُغدق على المرء فيألفها ويعتادها مما يوقعه في نسيان عبادة الشكر لله على آلائه ونعمه، فعندما ننظر إلى حال الرجل أو المرأة العقيم نعلم مدى عظمة نعمة الأولاد، وبالطلاق تُعرف نعمة الاستقرار، وبالأمراض والأوبئة تتجلى نعم عظيمة كالصحة والعافية ونعمة الحياة اليومية وما تزخر لحظاتها من الصلاة والجمعة والجماعات والطعام والشراب والتعليم والأمن والأمان والحركة الطبيعية اليومية وغيرها من النعم مما يطول المقام بذكرها ولا يمكن حصرها. كما يكشف الابتلاء مسألة التضاد بين الأمور ويجلي حقائقها وهذا ينطبق في التأمل بين المجتمعات الإسلامية وغيرها من المجتمعات الغربية الكافرة وما يتسنى فيها من أزمات الرذائل، فمن يعيش من غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية يعرف قيمة الإسلام ومبادئه الثرية بكل خير وصلاح للأفراد والجماعات. ويعلم حقيقة الإسلام وفضله على الكفر والكفار والملاحدة، أيضاً من يشاهد تفشي الموبقات في المجتمعات الغربية مثل الزنا وآثاره يعرف معرفة تامة قيمة العفاف والزواج والشرف والفضيلة

والحجاب، وبالجريمة يوقن قيمة الأمن والأمان، وكل ذلك يوقظ في المسلم دافعية تعزيز التربية الإسلامية في نفسه ومجتمعه.

أنواع الابتلاء:

يتعدد الابتلاء في أصناف وأنواع كثيرة باختلاف زواياها وبدرجات متفاوتة منه الصعب العسير ومنه دون ذلك، وتتناول الدراسة أنواع الابتلاء على النحو التالي:

الابتلاء من حيث العمومية والخصوصية:

ابتلاء عام: وهو الذي تشترك فيه البشرية في فترة زمنية معينة مثل الجائحة والأوبئة مثل جائحة الإنفلونزا الإسبانية ١٩١٨م.

ابتلاء خاص: وهو ما يختص به مجتمعون آخر مثل الحروب أو المجاعات أو أفراد دون أفراد كإصابة فرد بابتلاء أو ضائقة أو مشكلة دون غيره من أفراد أسرته ومجتمعه.

الابتلاء من حيث الجنس والنوعية:

ابتلاء من البشر: وهو ابتلاء إحدى الزوجين بظلم أو سوء من الطرف الآخر أو الابتلاء من الولد أو القريب أو الجار ونحوه.

ابتلاء غير بشري: وهو الابتلاء الواقع من الشياطين أو الجن أو الحيوانات المفترسة أو الفيروسات والميكروبات ونحوها والعياذ بالله.

الابتلاء من حيث التكاليف الشرعية:

وهذا لا يقصد به الابتلاء بضررها إذ التكاليف الشرعية والعبادات هي خير محض وإنما يوضح المعنى ابن القيم الجوزية بقوله: أن من حكمة الله تعالى في خلقه للناس إذ أحياهم ليبتليهم بالتكاليف الشرعية المتضمنة الأوامر والنواهي والأحكام والفرائض وكتب عليهم الموت الذي يعقبه الجزاء من ثواب ينالونه أو عقاب يستحقونه.[الجوزية، ٢٠١٠م، ص٨٣]. ومنه قيام المسلمين في شهر رمضان بالصيام والقيام وكيف رُتبت الجزاءات والمكافآت العظيمة في حين اجتياز هذا الاختبار بالصفة المطلوبة شرعاً.

الابتلاء من حيث السببية:

ابتلاء بدون أسباب: مثل وقوع الظلم على الفرد فليس للفرد أن يجلب الظلم لنفسه أو ولادة طفل بإعاقة أو مصاب بالطفرات الجينية فهي أمور يفاجئ بها المرء بدون سبب وبدون اختياره.

ابتلاء بأسباب: مثل الجهل أو قلة الخبرة وعدم وجود الحكمة أو الكسل واللامبالاة والإفراط والتفريط مثل رسوب الطالب في دراسته وتأخره، ومثل الطلاق الذي يحدث بين الزوجين لجهل أو وقلة الوعي بالحقوق الزوجية، ومنه عقوق الأبناء بسبب الإهمال التربوي وسوء التنشئة الاجتماعية.

الابتلاء من حيث الفترة الزمنية.

هناك من يولد من رحم الابتلاء كالمعاق واليتيم والفقير وآخرين وهناك من ينشأون ويكبرون في ظروف اجتماعية وصحية سوية ثم يحدث له ابتلاء في طور من أطوار حياته، وهناك من يكون ابتلاءه فترة زمنية قصيرة ومنهم من يطول معه زمن الابتلاء حتى يفارق الحياة.

الابتلاء من حيث الجوانب المادية (الحسية) والجوانب المعنوية:

الابتلاء المادي: مثل كساد التجارة، الوظيفة، الحريق ، ونحوه.

الابتلاء المعنوي: مثل الابتلاء بالأمراض النفسية، البعد عن الله، الغفلة غفلة القلب وانشغاله بالذنب، والضنك وكدر العيش.

الابتلاء بالسراء والضراء:

وهو نوع آخر من أهم أنواع الابتلاء يقول الله تبارك وتعالى : "ونبلوكم بالشر والخير فتنة". [الأنبياء: ٣٥] وفي الآية الكريمة دلالة إلى نوعي الابتلاء بالشر(الضراء) والابتلاء بالخير

(السراء). الابتلاء بالخير: ويقصد به الابتلاء بكل ما هو خير وحسن ومفيد ويهدف هذا النوع من الابتلاء إلى امتحان صدق العمل والإحسان في الأداء بالأساليب والطرق التي ترشد إليها تعاليم الشريعة الإسلامية وتتفق مع سنن الله في الخلق، وأول أشكال الابتلاء بالخير هو اختبار العقيدة الإسلامية وإخلاص النية ابتغاء وجه الله قال تعالى: "وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن". [البقرة: ١٢٤]. أيضاً اختبار الله لخلقه بالعبادات وامتثال الأوامر واجتناب النواهي وجُلَ آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية تبين هذا المعنى ومن ذلك قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا ليبلوكم الله بشيء من الصيد". [المائدة: ٩٤]. فالمولى يبتلى عباده بشتى أنواع الفرائض والأوامر والنواهي لينظر مدى إخلاصهم وله وصبرهم على طاعته وتجنب معاصيه فيكشف مدى صدق المؤمنين من كذب المنافقين. [الأنس، ٢٠٠٧م، مرجع سابق، ص٨٧]. كما أن من الابتلاء بالسراء الابتلاء بالمناصب والدرجات العليا وكثرة الأموال والجاه ونحوها فكيف يمكن التعامل مع هذا النوع من الابتلاء؟!

في غمرة السعادة وموفور العلم ونشوة الصحة قد يتمنى المرء الفوز بمنصب معين ذو قيمة عُليا ويسعى إليه بخيله ورجله ظناً منه أن لديه المهارات والكفاءات التي تتواءم مع ذلك المنصب وقدرته على القيام بواجباته ومهامه مؤديا لحقه ملتزماً بأمانة هذه الوظيفة والمنصب. وقد تكون هذه أمور ضربا من الإعجاب بالنفس والظن الوهمي بالذات وقدراتها وهو ما لا تقره التربية الإسلامية لأنه تحدياً وتعدياً، قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لعبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه:" يا عبدالرحمن بن سمرة ، لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكُلت إليها، وإن أوتيت من غير مسألة أعُنت عليها" [البخاري،١٤٢٩هـ ، حديث ٧١٤٦، ج ٩، ص٦٣]. يقول ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على الحديث السابق أن من ابتلى بالرئاسة بغير تعرض منه وفرضت عليه أعين عليها، ومن طلبها وتعرض للبلاء أوكل إليها وضُيف عليه. [ابن تيمية (د.ت) ، ج١، ص ٥٢١-٥٢٢]. فالابتلاء هو اختبار سلوك في كيفية التعامل مع المحبوبات وما هو اعتقاد المرء نحو الرخاء التي يتمتع به والذي يفتقده آخرين، بل أن البعض عند توفر النعم لديه يظن أنها دلالة عن رضي الله تعالى عنه جهلا وغفلة منه؛ إذ أن الابتلاء بالخير يقتضى أمانه سيسأل عنها يوم الحساب سؤالين: عن ماله من أين اكتسبه هل بطريقة شرعية أم لا؟ وإن نجح في هذا الجانب فالأمر لا يخول له حرية التصرف المطلق في الانفاق فيعقب السؤال سؤال آخر وفيما أنفقه؟ هل أدى حقه؟ فالابتلاء بالخير لا يجلب الاطمئنان إليه بقدر توفر الوعي في كيفية التعامل مع نعم الله تعالى والقيام بشكرها قولاً وعملاً.

الابتلاء بالضراء : وهو أمر معرض له كل إنسان، فكم من أفراد تكون حياتهم طيبة مستقيمة ثم يبتلوا في مرحلة معينة من حياتهم بابتلاء كمرض أو إعاقة تصيب الجسد أو فقر مفاجئ يعرقل نموهم واستقرارهم الاقتصادي أو طلاق بين الزوجين يتزعزع فهيا الأمن الأسري ، وهناك أفراد آخرون يولدون من رحم الابتلاء ، فمنهم من يولد داخل أسرة فقيرة أو مشرداً أو يتيماً أو معاقاً إعاقة دائمة أو مصاب بطفرات جينية أو متلازمة تعيق وظيفة مهمة في حياته كمتلازمة دارون والخلل العقلي والاجتماعي أو متلازمة كلانيفلتر عند الذكور أو متلازمة تيرنر عند الإناث حيث تصيب صاحبها بالعقم مدى الحياة ونحوها من المتلازمات التي تعطل جانب مهم وحيوي لدى الفرد. ومنهم من يبتلى بعقوق أبنائه أو نشوز زوجته ونساء يبتلين بزوج سيء الطباع قاسي القلب. فهذه ابتلاءات متنوعة مختلفة في قوتها ودرجة وقوعها على الأفراد قال تعالى: "ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم" [محمد: ٣١] . يقول القرطبي رحمه الله في تفسير قوله (حتى نعلم) "وهذا العلم هو العلم الذي يقع به الجزاء لأنه إنما يجازيهم بأعمالهم لا بعلمه القديم عليهم فتأويله: حتى نعلم المجاهدين علم شهادة لأنهم إذا أمروا بالعمل يشهد منهم ما عملوا فالجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم الشهادة" . [القرطبي، ١٤٠٨هـ، ج١٦، ص١٦٨]. وعند النظر في نوعي

الابتلاء خيره وشره وأن الناس متفاوتون فيه منهم القوي والضعيف والغني والفقير والصحيح والمريض ومنهم اليتيم الفاقد لأبويه، وبالمقابل نجد الرجل العقيم أو المرأة العقيمة العاجزين عن الإنجاب " نتسأل: ما الحكمة الإلهية في ذلك التفاوت؟ وما القيمة التربوية التي يمكن استثمارها من اختلاف الناس وتفاوتهم في الابتلاءات والمحن؟

الحكمة في اختلاف وتنوع الابتلاء بين الناس تظهر في الأسباب التالية:

١- تنوع طبيعة النفس الإنسانية واختلاف استعداداتها وتباين قدراتها في الصبر على الابتلاء وتحمل الصعاب والمشاق فهناك الغني والفقير والصحيح والفقير ويحدث هذا الاختلاف وفق مشيئة الله وعلمه المسبق بما يناسب كل فرد ولا يناسب الآخر. قال تعالى: "ولو بسط الله الرزق لعباده لبغو في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير". [الشورى: ٢٧]. يقول ابن تيمية رحمه الله موضحاً قيمة تربوية في اختلاف الابتلاء بين الناس وتباينه: قد يكون الغني أنفع لبعضهم من الفقر والفقر أنفع من الغنى لآخرين، والصحة أنفع لأحدهم من المرض والمرض أفضل من الصحة وكل بحسب فيظهر مقام الشكر والصبر والتقوى. [ابن تيمية ، د.ت، مرجع سابق، ج١١، ص٥٨]. والاختلاف والتمايز هنا هو ما يسمى تربوياً بالفروق الفردية وهي أيضا سنة من سنن الله الاجتماعية الذي يظهر الاختلاف النوعي بين الناس في صفات مشتركة. [صاكال والشيباني، ٢٠١٧م، ص٢٢١]. فجاء الابتلاء بما يتناسب مع مقتضى الحال.

٢- يتنوع الابتلاء ويختلف اختلافا متبايناً بما يحقق الأهداف والغايات الكبرى في تربية الله لعباده، ولأجل تحقيق تلك الأهداف لابد أن تتم جوانبه وتختلف طرق الابتلاء وأساليبه وتتعدد ظواهره وأشكاله، فلا يتحقق الجزاء ويتجلى التميز ولا تظهر حقيقة المبتلى وقيمته إلا بتنوع الابتلاءات وتعدد الصعوبات وتكرارها.

٣- النفس الإنسانية فطرت وجُبلت على الملل والسأم من دوام الحال وطُبعت على تغير الأحوال ولو كانت تحيا في رغد من العيش، وبالمقابل لو عاشت في الشدة والضراء لأصابها القنوط والخيبة وشدة اليأس، فكان تغير الظروف وتقلب الأحوال مراعاة للفطرة الإنسانية. [دوفش، ١٩٩٨م، ص١٥٨].

أنواع الناس أمام الابتلاء:

تختلف مواقف الناس عند نزول المصائب والابتلاء على عدة درجات:

الدرجة الأولى والأعلى: الراضي.

الدرجة الثانية: الموفق.

الدرجة الثالثة: المحروم والعياذ بالله.

المحروم: الذي يتعامل مع الابتلاء بالرفض واليأس والجزع وعدم الرضا وسوء الظن بالله والعياذ بالله.

والموفق: الذي يرى الابتلاء صعب وشاق ولكنه يوفق للصبر فيقابل الابتلاء بالتحمل، وعدم الجزع الظاهر ويتصبر بقدر استطاعته.

وأما الراضي: وهو أعلى الدرجات فهو الذي فهم معنى الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره فلم يتوقف عند عتبة الصبر والتحمل وإنما تعدى فعله إلى الرضى عن الله والحمد والشكر على ما حدث فاستوت لديه السراء والضراء وهذه درجة الخواص من عباد الله المتقين الذين يستشعرون قول النبي صلى الله عليه وسلم: "عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له". [النيسابوري، ١٤٠٧هـ،

ج٣، حديث ٢٩٩٩] وهم الذين لسان حالهم يردد "وأسألك الرضا بعد القضاء". [النسائي، ١٤٠٦هـ، ج ٧، حديث ١٣٠٥].

خصائص الابتلاء:

عند تتبع واستقراء بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تظهر أمامنا عدة خصائص للابتلاء وهي على النحو التالي:

١ـسنة ربانية: يقول الله تبارك وتعالى: "إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً". [الإنسان: ٢]. وقال سبحانه: "ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين". [البقرة: ١٥٥]. فالدلالات التربوية من الآيات الكريمة توضح أن الابتلاء مصدره الله العليم الحكيم فهو سنة جارية قال تعالى: "سنة الله في الذين خلو من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً". [الأحزاب: ٦٢]. فالمولى هو الذي أوجد الابتلاء وأنزل الشدائد وخلق الصعوبات وقدره على عباده بحكمة وإرادته سبحانه والتأكيد على ربانية سنة الابتلاء وأن مصدرها الخالق الجليل يعطي المسألة القيمة العظمى والميزة الكبرى لكونها صورة من صور فعل الله في عباده فهو منزل الابتلاء وهو الذي يكشفه فيربي في النفس الطمأنينة ويخفف القلق والخوف.

٢ـحتمية الابتلاء: الابتلاء قدر إجباري على سائر الناس في كل زمان ومكان فلا يكاد ينجو منه مجتمع من المجتمعات أو جيل من الأجيال ولا فرق بين ديانة وديانة فهو سنة حتمية إجبارية لا يسلم منه إنسان ووقوعه أمر قاطع لا محالة، ولكن يختلف الابتلاء في درجة وقوعه وهذا الاختلاف تبعا لقوة الإيمان وضعفه فعند ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الناس أشد بلاء؟ قال " الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابه، زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة، ضعف عنه". [الترمذي، ١٤١٩هـ، ج٢، حديث ٢٣٩٨] . والحياة الدنيا هي ساحة الامتحان والابتلاء ودار الاختبار والتكليف للإنسان فقد ذكرت العديد من الآيات القرآنية حقيقة الابتلاء منذ نزول آدم وزوجته من الجنة إلى الأرض وعداوة الشيطان ومكره لآدم وذريته إلى يوم القيامة، وكيف هدى الله عباده المؤمنين إلى الصراط المستقيم والمنهج القويم فأنزل الكتب وأرسل الرسل لتبدأ حقيقة الاختبار والتمحيص وبين الله تعالى حقيقة الدنيا بأنها دار معبر لا مستقر وأنها لعب ولهو وأنها زائلة لا محالة وأن الآخرة هي دار القرار والمآل. (الحصيني ، ٢٠١٨م، ص١٥٥).

٣- **الابتلاء ظاهرة صحية:** بناء ما سبق ذكره أن الابتلاء قدر حتمي وأنه سنة إجبارية حادثة لا مفر منه، وقد يظن البعض أنه سيفتقر إلى السعادة في حياته وأنها أمر محال؟! وهو ظن سوء؛ إذ أن الابتلاء ظاهرة صحية تعتري المسلم في حياته وأيضاً أن وقوع المهن والصعوبات والشدائد تدخل المرء في دائرة السعادة عندما يحقق دواعيها في التقرب إلى الله بشتى القربات من العبادات القلبية وحسن الظن بالله والرجاء وتحقيق التوكل واستقامة الجوارح خاصة إذا كان المرء في سابق عهده زائغ مائل عن الطريق المستقيم منافي بسوء أعماله لمراد الله تعالى وذكر ابن القيم رحمه الله أن الابتلاء يظهر طبائع الناس وأصل معادنهم وحقائقهم التي كانت في علم الله قبل خلقهم كما في قصة الثلاثة من بني إسرائيل الأبرص والأقرع والأعمى، وكيف أن الابتلاء ينقل الإنسان من حال إلى حال ومن الفقر والمرض والعجز إلى الغنى والصحة والاستطاعة ولكن هناك من لا يعترف بسابق عهده جهلاً وغفلة واستكباراً [ابن القيم، ٢٠١٠م، مرجع سابق، ص٨٣-٨٤] فينزل الابتلاء تلو الابتلاء، وتتعاقب المصائب على الفرد فتصقل شخصيته عند الشدائد ويصلح منه ويقوى إيمانه ويزداد ثباته وكل ذلك له تأثيره الإيجابي في حياة الأفراد.

٤ـاستمرارية الابتلاء: الابتلاء سنة مطردة مستمرة متتابعة قال صلى الله عليه وسلم:" ولا يزال البلاء بالمؤمن" [الترمذي ، مرجع سابق،١٤١٩هـ ، ص ٢٣٩٨ ، حديث ٤٨٧]. وفي الحديث

دلالة صريحة على تتابع الصعوبات التي تنزل بالمسلم واستمرارية الشدائد وأن المرء لا يصيبه ابتلاء مرة واحدة فقط يصارع فيها المكاره ثم تنتهي المعاناة، فأيام الرخاء والعافية قد تكون أكثر من أيام الشدائد ولكن جرت سنة الله أن تتولى الواردات على الإنسان ما يكره ويؤلم نفسه وينغص عليه راحته من الابتلاءات المادية والمعنوية. [بابير، ١٤٣٧هـ، مرجع سابق، ص٢١٥] فتستمر الأزمات تلو الأزمات في كل وقت وحين وفي كل أحواله فيبقى في دائرة الاختبار والامتحان إلى أن يلقى الله وتنقضي الحياة الدنيا .

٥-التكامل الوظيفي: يحتوي الابتلاء على التناقض بين الأشباه والأضداد بينها والاختلاف بين الناس وجعل الله بعضهم ابتلاء واختبار وتربية للبعض الآخر. فأعطى أناس المال والأولاد والصحة والمنصب وحُرم منها آخرون وهنا قد يتساءل البعض: لماذا هذا الحرمان لفئة دون أخرى؟ فالمولى سبحانه له في خلقه شؤون فلم يعطي المال للغني ليتعالى ويتنعم بمفرده ويكون المال احتكار ودولة بين الأغنياء دون غيرهم بل جعل للفقراء نصيب إجباري وحق في مال الأغنياء وجعل في البذل والصدقات الأجور والجزاءات العظيمة فكلما زاد البذل عظم الأجر والمثوبة، وكذلك الحال مع المرأة والطفل والعاجز وذو الحاجة الملهوف والضعفاء الذين لا حول لهم ولا قوة في إنجاز أمورهم إلا بمساعدة الرجل والقوي وصاحب المنصب ومن في حكمهم لسد احتياجاتهم وقضاء مستلزماتهم، وكذلك حال المرأة والرجل العقيم اتجاه الطفل اليتيم الفاقد لأبويه وعظم كفالة الأيتام، كل ذلك يسمى تربوياً بالتكامل الوظيفي بين الأفراد وجعل بعضهم خدما ووسيلة منفعة للمحرومين وبذلك تستقيم الحياة الإنسانية.

٦-شمولية الابتلاء: شمولية الابتلاء مظلة تحتوي كل تفاصيل حياة الإنسان من جوانب جسمية أو أسرية أو مالية أو نفسية وتشمل صغائر الأمور وكبيرها ومحيطة به وتهدف هذه الشمولية للأزمات إلى تربية المؤمن وتكفير لذنوبه فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الهم يهمه إلا كفر به من سيئاته" [النيسابوري ،١٤٠٧هـ، مرجع سابق، ج٤، حديث ٢٥٧٣] كما يشمل الابتلاء ما يقع للفرد في محيطه الكوني من المجاعات والحرائق والأمراض والحروب ولقاء العدو والفقر ونحوها..

ابتلاء الأنبياء والسلوك الأخلاقي الأنموذج:

ربما يتساءل البعض: أن الابتلاء والنوازل تصيب المرء فيكفر بها الذنوب والمعاصي، فما الحكمة من الابتلاءات التي أصابت الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ولماذا تنوعت؟ وهنا يجيب ابن القيم رحمه الله تعالى: أن المتأمل للحكمة الإلهية في ابتلاء الرسل وصفوة الخلق بما امتحنهم الله من عظائم المصائب وتوالي المحن عليهم حتى نالوا بها أرفع الغايات وأكمل النهايات؛ إذ لم يكن لهم حتى ساروا عبر جسر الامتحان والابتلاء فكانت تلك المصائب والمحن هي عين الكرامة في حقهم، فظاهر الأمر ابتلاء وباطنه المنة والكرامة والرحمة. [ابن القيم، ١٤٢٩هـ، ج١، ص ص: ٢٩٩-٣٠١]. كما أن من أعظم أسباب بعثة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام هي دعوة الناس وتربيتهم على مراد الله جل وعلا وتعديل سلوكهم الأخلاقي، وقد وقع على سائر الأنبياء صنوف وألوان الابتلاءات وخاضوا تجارب متنوعة من المحن، اشتركوا جميعهم في ابتلاء الدعوة إلى التوحيد وعداوة أقوامهم لهم وصدهم عن الإيمان بالله ومحاربتهم لدعوات الرسل عليهم السلام ورفضوا رسائل الإصلاح في بادئ الأمر، فكان هذا ابتلاء عام درج في معارجه كافة أنبياء الله عليهم السلام. ومن ناحية أخرى قد يتخصص بعضهم في ابتلاء محدد يصيب نبي دون آخر، فتنوعت الابتلاءات بين فقر وحرمان وموت ومرض وفتنة الملك وفتنة الجمال وعداوة الأقارب والابتلاء في الولد وغيرها. وفي خضام تلك الأزمات يتجلى السلوك الأخلاقي الأنموذج لصفوة الخلق أنبياء الله عليهم السلام في التعامل مع الابتلاء الذي يعترضهم في حياتهم فواجهوا الابتلاء بالصبر والثبات وقوة التحمل ورسوخ المبادئ

والعفو والصفح وتحمل المسؤولية والإيمان بالقضاء والقدر وعدم الجزع واليأس فرسموا المثل العليا في كمال التربية الإيمانية وقوة الاستعانة بالله والاحتساب وحسن الظن بالله والتفاؤل، الأمر الذي جعل سائر الأنبياء قدوة حسنة أمر نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم بالاقتداء في صبرهم وثباتهم قال تعالى: "أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده". [الأنعام: ٩٠]. ويمتد هذا التوجيه الرباني والتربية الخُلقية إلينا بالأمر بالاقتداء بالأنبياء جميعهم وبصبرهم فكانوا نماذج حية ممتدة عبر التاريخ التربوي إلى قيام الساعة والتأسي بنهجهم والتخلق بأخلاقهم في الصبر والاحتساب قال تعالى: "وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا". [الأنبياء: ٧٣]. وقوله سبحانه : "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب". [يوسف: ١١١]. فنسلتهم من حياتهم عليهم الصلاة والسلام أعظم الأساليب والدروس التربوية بالعبرة والعظة وخلاصة تجاربهم في التعامل مع المحن والشدائد وتحمل الأذى والتماس خُطى الفرج والتمكين والفوز بالمنح الإلهية والجوائز الربانية بعد الابتلاء.

فنجد أبو البشرية آدم عليه السلام وكيف أكرمه الله بسجود الملائكة له ومن عليه وعلى زوجته بسكن الجنة والتنعم بنعيمها وملذاتها ما عدا شجرة معينة حُذر منها وكيف أن الشيطان الذي أعلن عداوته الأزلية لآدم وذريته وسوس له بالأكل منها وتزين هذه المخالفة بالحرص ودوام النعم فكان الأكل منها ومخالفته لأمر الله سبباً في زوال النعمة وخروجه من الجنة. [إبراهيم وحسين، ٢٠٠٥م، ص ص: ٥-٦]. ثم تعاقبت عليه صنوف الابتلاء عند نزوله إلى الأرض وابتلى في فلذة كبده ولديه قابيل وهابيل وقتل أحدهما للآخر ولعل الابتلاء في الولد من أصعب وأشد أنواع البلاء حيث ابتلى نوح بعصيان ابنه وكفره وابتلى إبراهيم بالأمر بذبح ابنه وابتلى خاتم الأنبياء بوفاة جميع أبنائه الذكور صغار.

وقد ابتلى نوح عليه السلام بعداوة قومه له وكفرهم وعنادهم الأمر الذي استقر لسنوات طوال وكيف صبر وثبت واحتسب نوح عليه في سبيل التربية الإيمانية وتصحيح التوحيد في القلوب وكان أول من سن قاعدة التربية بالاستغفار لزوال البلاء وكشف الضر وجلب النعم ودوامها. [إبراهيم وحسين، مرجع سابق، ص١٩].

ومحنة إبراهيم عليه السلام العظيمة مع قومه ووالده الذي أصر على الكفر والشرك وكيف استخدم إبراهيم عليه السلام عدة أساليب تربوية في دعوة قومه وأبوه بالحوار والأسلوب العقلاني لإقامة الحجج والبراهين في إثبات الحق. ثم ابتلى عليه السلام في عاطفته الأبوية حين رأى رؤيا ذبح ابنه فعلم أنه يبتلى ويمتحن فصمد وثبت فسماه الله البلاء العظيم ونجد ثنائية الابتلاء في موقف إسماعيل عليه السلام وثباته على طاعة والده وامتثال الأمر الإلهي فكان البلاء المبين الذي مُنح فيها إبراهيم عليه السلام منحة ربانية فريدة جعلته في شخصه وأخلاقه الأنموذج خُلق أمة بأسرها.

كما ضرب نبي الله أيوب عليه السلام نموذجاً متميز في قوة الصبر على البلاء وتحمل الألم وعدم الجزع منه والصبر والاحتساب على فقد المال والولد ومع طول فترة الابتلاء يزيد الثبات ويتضاعف الأدب مع الله فرغم القدر الكمي الابتلائي المتراكم يراه مس بسيط فأثنى الله عليه أفضل الثناء وهو تحقيقه مقام العبودية التامة لله وحده وكمال الإيمان للمؤمن من الصابر على البلاء المتصل بالدعاء فكشف عنه ضره ورفع عنه ابتلاءه "واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب". [ص: ٤١].

ونبي الله يوسف عليه السلام ابتلي بانتزاعه من أحضان والديه ورميه في البئر ويشتد الابتلاء فينتقل من الحرية إلى كلاليب العبودية ثم الابتلاء بالجمال الذي عرضه لفتنة امرأة العزيزة والنسوة، ثم الابتلاء بالسجن الذي يزيد من ثبات يوسف وتمسكه بحبل الله ودعاؤه أن يصرف عنه كيد النسوة وكيد الكائدين فيكشف عنه البلاء ويمكن له.

وابتلاء داود عليه السلام بالخصمان اختبار وامتحان إلهي في تعلم أدبيات القضاء ومعرفة سياسة الحكم بين الناس وابتلاء ابنه سليمان عليه السلام كان أعظم؛ إذ كان ابتلاء بالسراء وهو ملك الأرض بأسرها ومخلوقاتها وأنسها وجنها وشياطينها وحيواناتها وطيورها ويمتد الابتلاء بالسراء إلى القدرة في التصرف بالرياح بأمر الله تسير وفق حكمه وبين يديه وتحت سلطته فواجه هذا الابتلاء بسلوك أخلاقي قل من يمثله وهو شكر النعم التي اصطفاه الله بها عن سائر البشر بأن حقق الاستخلاف الإيماني على سائر الأرض وطبق شرع الله فبلغت دولته الذروة في العدل والإنصاف وحكم الناس وفق منهج الله فلم يغتر ولم يفتن بإحراز الملك فنال المدح القرآني: "نعم العبد". [ص:٣٠].

وفي قصة موسى عليه السلام فهي نبع ثري بالقيم الخُلقية التي تنجم من المواقف العصيبة والمحن التي واجهته عليه السلام منذ ولادته ثم تربيته في البلاط الفرعوني ثم خروجه من مصر إلى أرض مدين وعودته إلى مصر لإبلاغ الدعوة إلى الله لأكبر طغاة الأرض وكيف واجه عليه السلام الشدائد مع فرعون وقومه بأخلاق النبي والمربي الناصح المتسلح بقوة التوكل على الله في نجاته ونجاة بنو إسرائيل ولم ينتهي الابتلاء إلى هذا المسار بل ينتقل إلى مرحلة جحود بنو إسرائيل وكفران النعم العظيمة التي منّ الله بها عليهم فنقضوا العهود وعبدوا العجل وقست قلوبهم رغم كثرة الآيات والمعجزات على صدق موسى عليه السلام. كما واجه موسى عليه السلام صعوبات في سبيل العلم والتعلم تبرز القيم التربوية في قصة مع الخضر عليه السلام في الإصرار العجيب على عملية التعلم والهمة العالية وامتثال توجيهات المعلم الخضر عليه السلام وكيف يتعلم المتعلم؟ وماذا يتعلم؟ وما الأثر التربوي والتغذية الرجعية التي تحصل للتلميذ بعد العملية التعليمية، كما تبرز القصة أهمية عامل الصبر في تقوية العزيمة في سبيل العلم وأن المتعلم يبتلى في مسيرته العلمية بلاء حسناً.

أما عيسى عليه السلام روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم الصديقة فيتجلى الامتحان وصعوبة الابتلاء في شرادم اليهود الذين قذفوا أمه الطاهرة وهي التي شهد لها القرآن بأنها: "أحصنت فرجها". [التحريم: ١٢]. ورغم شهادة اليهود بنزاهة السلوك الأخلاقي لأسرتها كما وضحه القرآن في قوله تعالى: "يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً". [مريم: ٢٨]. فكانت رضي الله عنها سلالة أسرة تربت على التوحيد وتوسمت العبادة والطهر والعفاف والصلاح إلا أن اليهود نقضوا تلك الشهادة بقذفهم إياها بالبهتان العظيم، فعظم الابتلاء على مريم واشتد الحال وامتنع المقال فعانق قلبها عنان السماء بصدق التوكل على الله :" فأشارت إليه". [مريم : ٢٩]. ليحادثوه ويتحاوروا معه فكان جواب بني إسرائيل: "قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً". [مريم : ٢٩]. وهنا يأتي جبر الله في الابتلاء والتميز في التكريم الرباني أن هذا المولود الرضيع في المعهد ينطق بأفضل بيان وأعظم تربية ربانية " قال إني عبدالله أتاني الكتاب وجعلني نبياً". [مريم : ٣٠]. وإبلاغه عليه السلام لبنو إسرائيل بالنبوة كان أعظم حجة في التاريخ النبوي؛ إذ كيف يكلف ابن غير شرعي – في زعمهم الباطل – بالنبوة والدعوة إلى توحيد الله؟! وتتوالى المعجزات تلو معجزة ولادته فيشفى المرضى والأعمى والأبرص وإحياء الموتى والنفخ في الطير فيكون طير بإذن الله، وهي دلالات التربية الإيمانية في عظم قدرة الله وإبداعه في تصريف أمور خلقه، الأمر الذي لم يتحمله بنو إسرائيل فأجمعوا على تكذيبه ورفض دعوته ويتعدى الأمر إلى إرادة اغتياله وصلبه، فيرفعه الله تعالى إليه وينجيه من مكرهم لينزل في آخر الزمان قبل قيام الساعة لإكمال مراد الله وحكمته.

والمستقرئ للسيرة النبوية من بداياتها على صاحبها أفضل الصلوات وأتم التسليم فيجد أنها شملت جميع أصناف البلاء التي تعرض لها جميع الأنبياء والرسل الكرام وقد يتعرض لها كل إنسان في حياته ، فكان ابتلاؤه أشد البلاء ومحنته أعظم الكرب فصابر واصطبر وثبت محتسباً راضٍ بقضاء الله وقدره متوكلاً على ربه في كل أمره وقد ابتلي باليتيم في صغره، والابتلاء الجسدي والاقتصادي

والنفسي من قومه وغيرهم حين تبليغ الرسالة، واتهم بالسحر والكذب والجنون ويشتد البلاء في عقد مؤامرة قتله عليه الصلاة والسلام مما أدى لهجرته إلى المدينة ليبدأ مرحلة من الجهد والعناء في مواجهة التعدد الطائفي من الوثنيين واليهود والمنافقين، كما شهدت المدنية الكثير من الصور التربوية لصبره في تبليغ الدعوة وجهاده وغزواته التي شاركه فيها الصحابة رضوان الله عليهم وابتلو بلاء حسنا. وقد ربى الله سبحانه صحابة نبيه الكريم تربية عظيمة في بعض الغزوات لتمضي نبراساً عبر التاريخ التربوي كغزوة أحد وهذا ما نقله ابن حجر العسقلاني رحمه الله عن العلماء بقولهم عن حكمة الله في الابتلاءات في الغزوات أن سنة الله في رسله أن يبتلوا ويمحصوا فتأول إليهم حسن العاقبة ويعللوا ذلك الأمر أن دوام النصر للمؤمنين دون هزيمة لدخل فيهم من ليس منهم، ولو هزموا دائما دون نصر لم يتحقق هدف الرسالة وغاية البعثة فاقتضت حكمة العليم الخبير الجمع بين الأمرين ليتميز المؤمن من الكافر والصادق من المنافق. كمان أن تأخير النصر تمحيص للمؤمن فيصبر ويقوي إيمانه بخالقه ومدبر آمره وأن الله قد أعد منازل عالية لعباده المؤمنين لا يصلون إليها بأعمالهم ولا ينالوا منها إلا عن طريق المحن والشدائد فقيض لهم هذه المسببات ليصلوا إليها ويفوزوا بأعالي درجات كرامته. [العسقلاني، ١٤٣٤هـ، ج٨، ص٢٩٦].

القيم التربوية للابتلاء:

للابتلاء والشدائد بصنوفها المختلفة وأشكالها المتنوعة دور عظيم في تربية النفس الإنسانية وصقلها وتهذيب السلوك وتعديله نحو الأفضل وتوجيه العقل إلى السير على المنهج التربوي الرباني القويم الذي يحقق الأهداف والغايات المرجوة ، فالابتلاء سنة ثابتة ومرحلة ضرورية العبور لصناعة المؤمن، فإذا ما أردنا قياس قوة الأشجار ورسوخ جذورها ومدى صعوبة اقتلاعها فإن الأنظار تتوجه إلى الأشجار والنباتات الصحراوية؛ نظرا لما تواجهه من عوامل بيئية قاسية من قلة الموارد وصعوبة المناخ ونحوه ولله المثل الأعلى هكذا يصنع الابتلاء في المؤمن، فقوة إيمانه بالله واستعانته به هي أسباب شرعية فيهيئ الله له أسباب كونية تعينه وتفتح له سبل معيشية وأمور وطرق قد لا تخطر له ولكنه عناية المولى للمؤمن؛ إذ في أخذه عطاء وفي المحن منح وفي الصعوبات وقلب الشدائد يولد ويصنع المؤمن القوي وهذا هو مراد الله. ومن هنا نشير إلى بعض القيم التي يثمرها الابتلاء وهي على النحو التالي:

أولا: القيم الإيمانية: وهي من أجل المكاسب وأعظم القيم التربوية التي يكتسبها المؤمن؛ إذ تقتضي القيم الإيمانية تربية القلب على الإيمان بالقضاء والقدر والتسليم لله وحده فتزهر النفس طمأنينة وانشراحاً لعلم المرء أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيقوى الإيمان ويتعمق اليقين في القلب ويستقيم السلوك وتكتسب الجوارح الشجاعة والقوة في مواجهة مواقف الحياة وابتلاءاتها. فالمصائب تورث النفس قوة إيمانية تدفعها للعمل الصالح فتحقيق السعادة والسكينة قال تعالى: "من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون". [النحل: ٩٧]. والعبد المؤمن يعلم أن الابتلاء ما هو إلا مرحلة عابرة ليقيم سلوكه ويقربه إلى الله، وبالمقابل نجد أن المبتلى بالمعاصي والسيئات فإن الحياة الواسعة تضيق عليه نفسه فيشعر بالضنك والاكتئاب والقلق والتوتر وعدم السعادة ولو حازت له الدنيا بملذاتها؛ إذ الابتلاء في حقه تربية الله للعصاة من عباده "ومن أعرض عن ذكري فإنه له معيشة ضنكاً". [طه: ١٢٤]. كما أن المولى سبحانه لا يترك عبده المؤمن وحيدا يصارع الأزمات والصعاب وينوء به الثقل ويضعفه الحزن ويهلكه الهم في هذه الحياة الدنيا، إنما تقتضي حكمه الله ورحمته أن يدرك عباده المؤمنين السعادة الحقة في خضم الشدائد وهنا جاءت التربية القرآنية تعقيباً على غزوة أحد بقوله تعالى: "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين". [آل عمران: ١٣٩]. فيخرج المؤمن من تجاربه المؤلمة أشد صلابة وأفضل وعياً لطبيعة الحياة الدنيا وحقيقتها. [أبو سخيل، ١٤٢٨هـ، ص١٣٩].

تتجلى القيم التربوية الإيمانية لسنة الابتلاء في الأمور التالية:

١-التسليم لله : الابتلاء عبارة عن اختيار وتمحيص صدق إيمان العبد بالله ومدى رضاه بالقضاء والقدر وعدم السخط والجزع، كما يقتضي التسليم لله تضرع القلب وانكسار النفس أمام الله "ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون". [الأنعام: ٤٢]. فبهذا التضرع والانكسار يُصهر قسوة القلب ويذيب طغيانه فيعلو الإيمان ويقوى اليقين وتزيد الطمأنينة وهي نواة التربية الإيمانية للقلوب المؤمنة واعترافها بضعفها وعجزها أمام قدرة الله الذي لا يعجزه عدو ولا مرض ولا جبروت طاغية ولا ضعف؛ إذ مقاليد السموات والأرض والخلق كلها بيده سبحانه وأن مرارة الكسر تعقبها حلاوة الجبر.

٢- حسن الظن بالله: يربي الابتلاء في المؤمن خلق التفاؤل وحسن الظن بالله "لا تحسبوا شر لكم بل هو خيرا لكم". [النور: ١١]. فينشرح صدره وتتولد لديه النشاط والدافعية للعمل والسعي ويعلم أن الأزمة التي أمامه ماهي إلا مرحلة عابرة وأن الأحوال تتبدل وتتغير فيصبر ويحتسب وتهون عليه المصيبة، بعكس الكافر الذي لا يؤمن بالله ولا يؤجر ولا يطهر بهذه البلايا إلى أن يموت ويلقى جزاءه المقيت بالآخرة وهذه قيمة تربوية صريحة في التربية النبوية من حديث أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى تكون انجعافها مرة واحدة". [البخاري،١٤٢٩هـ، مرجع سابق، حديث ٥٦٤٣]. فالمؤمن من لا يزيده الابتلاء إلا تماسك وقوة وشجاعة وقدرة على التعايش مع الظروف القاسية فلا يسقط ولا يقنت ولا ينزعج مما يلقى من الشدائد ولا يخشى من المستقبل ويطرد خوفه وقلقه باعتماد قلبه على المولى سبحانه ولسان حاله يردد: "لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا". [الطلاق: ١]. فالتوكل على الله يعينه على اجتياز التحديات والصعوبات وأوضاع هي أقوى منه وأعظم من حدود إمكانياته فبإيمانه وصدق اعتماده على خالقه يجعله أشد إصرارا على المضي قدماً في السعي ومواجهة الحياة بشدائدها.

٣- الإكثار من الذكر : ينبغي ويستلزم عند الأزمات الإكثار من ذكر الله في جميع الأحوال وعلى كافة الأصعدة وكافة الطرق لما له من أثر عجيب في منح القوة والصلابة لمواجهة الشدائد فقد أمر الله نبيه موسى عليه السلام بالإكثار من الذكر "ولا تنيا في ذكري". [طه: ٤٢]. وهذا توجيه تربوي رباني لموسى وهارون عليهما السلام في عدم الفتور أو الكسل عن مداومة الذكر والاستمرارية فيه حتى تسهل مهمتهما الدعوية ويخفف عنهما حملها . وأيضاً أمر المولى سبحانه نبيه الكريم صلوات الله عليه وسلامه بكثرة الذكر "واذكروا الله كثيراً". [الأنفال: ٤٥]. في مواضع الأزمات والحروب ومواجهة الأعداء، فالإكثار من ذكر الله له قوة خفية عظيمة لا نعلم كنهتها ولا كيفيتها ولكن أثرها واقعي ملموس تربي المسلم وتورثه زيادة النشاط والقدرة على الصمود والتحمل وتمده بالصبر وعدم الجزع.

٤-تلاوة القرآن: وهو أعظم الذكر فتلاوة القرآن يلامس القلب ويحيي به ويشفى به أوجاعه قال تعالى: "وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين". [الإسراء: ٨٢]. فتلاوة كلام الله سلوى للقلب وضماد للأوجاع وسكينة للآهات وشفاء للأمراض الحسية والمعنوية والأوجاع والمشكلات إذ يربي النفس تربية إسلامية صحيحة لاحتوائه على القصص والأخبار للأمم السابقة والأنبياء وكيف ساروا في قافلة الحياة بحلوها ومرها وكيف انتهت قضاياهم وأوجاعهم فالتربية القرآنية تُنير البصيرة وتهدي الحيارى وتزيل الجهل ببيان فضل الله على عباده المؤمنين وإغاثته ونصره لهم وكيف ترشد الآيات القرآنية إلى الطرق الشرعية والكونية لمعالجة المشكلات والقضايا.

٥-الصبر: يربي القرآن الكريم المبتلى عن خلق التحمل والصبر والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحث على الصبر ومنها قوله: "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب". [الزمز: ١٠]. فتقوى

إيمان المؤمن وتعلي رجاؤه من الأجر اللامحدود والمنح الربانية التي ستغمره جزاء صبره وثباته وإيمانه بقضاء الله وقدره الشرعي والكوني فيرضى ويتصبر. [الخميس، ١٤٢٥هـ، ص ٤٥٢].
٦-الدعاء: وما أدراك ما الدعاء؟ فهو من أعظم القيم وأجل الأساليب التربوية؛ فالتربية بالدعاء دعامة عظيمة وعتاد صلب لمواجهة الابتلاء وذروة سنام حسن الظن بالله؛ إذ الدعاء يرد القدر بأمر الله قبل نزول البلاء ويعالجه بعد وقوعه ويدفعه ويرفعه كما ورد في الحديث النبوي: "ولا يرد القدر إلا الدعاء". [الألباني، ١٤٠٧هـ، حديث ٧٣]. وهذا إرشاد نبوي إلى أهمية كثرة الدعاء وصدق التعلق والالتجاء والتضرع إلى الله في كل الأحوال.
ثانيا: القيم الاجتماعية: من أنواع الابتلاءات التي تواجه الفرد اختلاف الطبائع الإنسانية قال تعالى: "وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون". [الفرقان: ٢٠]. فالناس مختبرون ببعضهم الزوج والزوجة، والوالدين وأبنائهم، والرفاق فيما بينهم، والجيران، الأقارب، والأرحام ونحوهم، فاختلفت الأخلاق فيما بينهم واختلفت العطايا والمزايا أيضاً وهنا تأتي التربية القرآنية بالصبر فيما بيننا وعدم التسخط والحسد والبطر والظلم والتعدي حتى لا تفسد العلاقات والترابط الاجتماعي بين الناس.
إضافة عند النظر إلى الوظيفة التربوية للأسرة بين ما هو كائن وما ينبغي أن تكون عليه التنشئة الاجتماعية لأبنائها، والتربية السلوكية لأخلاقهم، فنجد أن بعض الأسر المعاصرة تعطي جل اهتمامها للتربية الجسمية والاهتمام بالماديات ورفاهية المعيشة لأبنائها، وتوفير الوسائل والإمكانيات بصورة مفرطة لإشباعهم حسياً كي لا يشعرون بشيء من الحرمان والفقر الذي اتسمت به الحياة الاجتماعية في الماضي، ولم تدرك الأسرة المعاصرة – غفلة أو جهلا – أن بعض الابتلاء كالحرمان والفقر يحتوي في طياته تربية خفية للناشئة في أهمية الكفاح والتحلي بالشجاعة وصناعة المؤمن القوي القادر على مواجهة مصاعب الحياة وشدائدها، شرط أن يكون هذا الحرمان المادي قائم على أسس إيمانية متشبع بالقيم الإسلامية التي كان عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والسلف الصالح حيث لم تتوفر لديهم الإمكانيات المادية ولم تتوفر لديهم الاحتياجات بحسب النظرة المعاصرة ورغم ظروفهم القاسية والابتلاءات التي ترعرعوا بين جنباتها أثمرت عن شخصيات ناضجة عقلياً، مستقيمة سلوكيا، قوية أخلاقياً، فلم تضرهم الابتلاءات في تكوينهم التربوي والقيادي والسياسي والاجتماعي ومن هنا يجدر بالأسرة المسلمة المعاصرة إعادة النظر كرتين في وظيفتها التربوية مع أبنائها لتعديل أساليبها وفقاً للمنهج الرباني مع تنوع الوسائل التربوية بما يناسب مقتضى الحال وحسب طبيعة المتربي.
كما أن من القيم التربوية الاجتماعية التي يجب غرسها في الأبناء قيم الصبر وتحمل المسؤولية وقوة التحمل والتضحية والإيثار والتغافل والتسامح والعفو ونحوه مما تعود بالخير والنفع للفرد في مواجهة تقلبات الحياة الاجتماعية.
ثالثا: القيم النفسية: مما لا شك فيه أن ثمة ظروف قد يتعرض لها المجتمع بأكمله تؤثر سلباً على نفسية أفراده وترهقهم وتصيبهم بالعجز والضعف وعدم القدرة على التعامل السليم والفعال مع الأحداث والابتلاءات. [الحلبي وأبو بكر، ٢٠١٤م، ص: ١٢٤-١٢٥]. في حين أن الفرد في واقع حياته مطالب بتحقيق التوازن الانفعالي من جانبان: أحدهما: وجود الأمن المادي من خلال توفير الاحتياجات الأساسية لاستمرارية حياته، والجانب الآخر: هو شعور الفرد بالرضا والسكينة والراحة والطمأنينة وتمتعه بصحة نفسية سليمة بعيدة عن القلق والتوتر [capan, washimgton, 2015, 4]. وهنا نجد يصف القرآن الكريم الطبيعة الإنسانية في حال وقوع الأزمات والابتلاء قال تعالى: "إن الإنسان خُلق هلوعاً * إذا مسه الشر جزوعاً * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين". [المعارج: ١٩-٢٢]. فالنفس الإنسانية بصفة عامة يصيبها القلق والاضطراب والاكتئاب عند وقوع المصائب والمشكلات باستثناء النفس المؤمنة التي نشأت تنشئة صالحة لا تصيبها تلك العوارض

وهذا مصداق حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمن كالخامة من الزرع تفيئها الريح مرة وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة لا تزال حتى تكون انجعافها مرة واحدة". [البخاري، ٢٠١٠م، حديث ٥٦٤٣]. لذلك التربية الإسلامية مطالبة بإعداد المؤمن القوي إعداداً نفسياً جيداً منذ نعومة أظفاره إعداداً يتسم بالصلابة وتزويده بالقيم النفسية الإسلامية كالقوة والقدرة على ضبط الانفعالات وعدم اليأس والاستسلام والتماسك والتوازن والسلام الداخلي والشجاعة في مواجهة الابتلاءات والتعامل مع الشدائد بالرضا والقناعة ورسم الأهداف ودعمها وبناء الطموح لدى الأفراد لإكمال مسيرتهم الحياتية وتحقيق رسالتهم السامية، وهذه القيم يفتقدها المجتمع الغربي المادي الذي يحيا لأجل الرفاهية وحب المادة مما أنتج لديهم نفوس هشة ضعيفة متصدعة لا تقوى على مواجهة الأزمات فتقع في بعض الأحيان في براثين الانتحار والعياذ بالله.

رابعا: القيم الفكرية: يكشف الابتلاء مدى تحقق الصحة الفكرية لأفراد المجتمع خاصة بما يتعلق بالأوهام؛ إذ مع التسليم بوجود السحر والعين والحسد ليس بالضرورة أن كل ابتلاء أو مشكلة تكون ناتجة عنه؛ فكثير ما تتولد الأزمات والشدائد نتيجة إفراط أو تفريط أو جهل وهنا تكمن ضرورة التسلح بالعلم والمعرفة الصحيحة. إضافة أنه قد يواجه المرء ظلم وقسوة من الآخرين ينتج عنها أضرار على المستوى الاجتماعي الأسري أو الاقتصادي أو الوظيفي ونحوه فإذا ما كان المبتلى قد تربي تربية إسلامية قويمة فستتولد عن تلك القسوة والصعوبات فكر عدواني ونزعة انتقام نحو المجتمع، ولسلامة الفكر ينبغي الاهتمام بتعزيز قيم العفو والسلام والصفح، فما زاد العفو العبد إلا عزة ورفعة وبالعفو والصفح يستشرف المؤمن بحسن ظنه بالله صنع الكريم في مستقبل حياته، وأن العفو لا ينقص بل يزيد، ولا يضعف بل يقوي، ولا يذل بل يعز ويعلى شأن صاحبه، كما أن الابتلاء يغير قناعات راسخة لدى الفرد وإعادة تشكيل تفكيره بصورة صحيحة سليمة على مراد الله وإصلاح نفسه فينصرها بعيوبها.

إضافة أن الابتلاء بالأمراض والأوبئة وغزو جيش الفيروسات والميكروبات للحياة الإنسانية وكيف تُباد المجتمعات ويموت الأفراد كضحايا لذلك الأمراض والإصابات بخلل الجينات الوراثية وغيرها من أنواع الابتلاء الجسدي، دعي التربية والتعليم بدفع عجلة التقدم العلمي في مجال الطب الوقائي والعلاجي لاستخلاص الأدوية ووضع اللقاحات لمواجهة الأمراض وتحفيز هذه الخطوات بالجوائز القيمة لبراءة الاختراع لمن يقدم صناعة طبية جديدة تنقذ الإنسان، أو اختراع جهاز لمساعدة معاق، بل تطور التعليم في الطب إلى ما يسمى بهندسة الجينات الوراثية ويهدف هذا النوع من العلوم إلى مساعدة المصابين بالمتلازمات بإعادة صياغة التكوين الجيني للكروموسومات والحد من الانتقال الوراثي للأجيال القائمة . [أبو جزر، ١٤٢٩هـ، ص٨].

خامسا: القيم الاقتصادية: لعل أبرز ما ابتلى به المجتمع الإسلامي المعاصر هو سيطرة العولمة الاقتصادية التي أسفرت عن انقسام المجتمع إلى طبقتين: طبقة مترفة ابتليت – دون شعور – بحب التملك والشراهة الاستهلاكية، وطبقة أخرى على النقيض فقيرة كادحة تعاني أنيميا مادية حادة في توفير الاحتياجات الأساسية لمطالب الحياة من طعام وكساد ومأوى ودواء، وهنا يبرز التساؤل: ما هو وظيفة التربية الإسلامية في هذا الجانب؟!

إن التربية الإسلامية مناط عليها نشر ثقافة الاعتدال الاقتصادي في صورته الصحيحة وتعليم الأفراد ترشيد الاستهلاك وتعزيز التكافل الاجتماعي في المجتمع، ورفع الوعي التربوي للأفراد بحقيقة الواقع المعاصر وقلة الموارد المادية وكيفية إدارة الإمكانات والتعامل مع الحياة بكفاءة عالية وحسن تدبير. إضافة إلى ضرورة تربية الأبناء التربية الاقتصادية الإسلامية كماهي في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة القائمة على التوسط فلا إسراف ولا تقطير، وتعلم فقه الأولويات والالتزام به من الضروريات والحاجيات وتعليم الادخار، وكشف فساد الإعلام الذي يروج للثقافة الاستهلاكية

عن طريق المشاهير وآثارهم السلبية على الأفراد والمجتمع. كما يجب على الأسرة المسلمة القيام بتربية أبنائها التربية الإنتاجية وتنمية المهارات الاقتصادية لديهم كالبيع والشراء وفنون التجارة والتسويق واكتشاف الميول والاتجاهات الاقتصادية النافعة لديهم وتوجيههم الوجه التربوية الإسلامية بما يثمر بالنفع والفائدة للأفراد والأسرة والمجتمع معاً.

بعض الأساليب التربوية المتبعة في التعامل مع الابتلاء:

١-التربية بالقدوة: الأصل في التربية الإسلامية أنها تربية عقدية تشمل الدين والدنيا تربية رفيعة المقاصد سامية الغايات، وأن الله سبحانه أرسل نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون أسوة يقتدى به في كافة شؤونهم الدينية والدنيوية. [الخطيب، ١٤٢٥هـ، ص ٨٢]. قال تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر". [الأحزاب: ٢١]. كما أن الاقتداء والتأسي طريقة تربوية ملموسة وأسلوب واقعي توجه الفرد إلى أنه باستطاعته اختيار القيم الصحيحة والمهارات الشخصية واجتناب السلوك المنحرف[ممدوح، ١٤٣٦هـ، ص ١١٣]. فعند إمعان النظر في سيرة نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم نجد فيها المثل العليا في الصبر على الابتلاء واحتساب الأجر والشجاعة والقوة في تحمل الأذى، ومواجهة أنواع وأصناف المحن التي واجهته؛ إذ لا يوجد أحد من البشر أشد بلاء منه؛ فقد ولد يتيماً وتوفيت أمه وهو صغير وكان فقيراً وتحمل عداوة أهله وقبليته في سبيل تبليغ الرسالة وصبر الصبر العظيم عند فقد زوجته خديجة رضي الله عنها وأبنائه صغارا وبناته الواحدة تلو الأخرى ما عدا فاطمة رضي الله عنها وعنهم أجمعين ، وابتلى في عرضه وسُحر عليه الصلاة والسلام وأذى في جسده الشريف وقابل جميع الابتلاءات بصبر ورضا وحسن الظن بالله تعالى، فكان صلى الله عليه وسلم بحق المثل الأعلى والأنموذج الذي يحتذى به كل مبتلى ويجد فيه تسلية وسلوى.

٢-أسلوب التوجيه والموعظة الحسنة: يعتبر من الأساليب التربوية اللطيفة التي استخدمها الأنبياء والرسل عليهم السلام في دعوة الأمم، فهو من الأساليب القوية ذات الأثر الفعال في استقامة سلوك الصغار والكبار معاً. [الخطيب، ١٤٢٥هـ، ص٨٣]؛ إذ أن للكلمة الطيبة تأثير عاطفي وتهز مشاعر المتربي فهي تقوم بتوضيح ما ينبغي فعله وتحذره من الأمور الضارة التي يجب تجنبها فتعظه وترشده إلى الفضائل السلوكية والأخلاق الحسنة. [كاظم، ٢٠١٤م، ص٥٦]. وقد حثت التربية القرآنية على استخدام هذا الأسلوب بقوله تعالى: "وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين". [الذاريات: ٥٥]. ويمكن تفعيل هذا الأسلوب من جانبين: الجانب الأول: المبتلى نفسه فعندما يجد نفسه قد وقع في ابتلاء ومحنة ولا يجيد التصرف في الخروج من المأزق الذي حل به حينها يتوجب عليه التوجه إلى عقلاء المجتمع وأهل الحل والعقد فيستشيرهم ويعرض عليهم قضيته ويناقشهم وكيف يحلها ومعرفة الطريقة الصحيحة في ذلك. الجانب الثاني: المجتمع المحيط بالمبتلى يجب أن يكون عونا له ونصيرا حنوناً عطوفاً فلا يقسى عليه ولا يشمت به ولا يحقره خاصة؛ إذا كان الابتلاء في الدين وارتكاب المعاصي كما حدث مع " الرجل الذي كان يشرب الخمر في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فجيء به إليه وجُلد فلما انصرف الرجل قال رجل : ماله أخزاه الله فقال صلى الله عليه وسلم : "لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم" [البخاري،١٤٢٩هـ، حديث ٦٧٨١]. فالتربية النبوية توجه إلى حسن التعامل مع المبتلى بعدم الغلظة والقسوة عليه بل بالرفق به والتعامل معه بالحسنى وإعانته في الخير للخروج من ابتلاءه وعدم استمراره فيه.

٣-أسلوب الترغيب والترهيب: يثير الترغيب والترهيب عند الفرد عوامل الخوف والخشية والأمل والرجاء، وهذه العوامل في واقعها توجه الإنسان نحو أهداف محددة وسلوكيات مختارة وتعمل على ضبط الأفكار والمشاعر، وعلى قدر ونوع ما يخاف الإنسان، وأيضاً على قدر ونوع ما يرجو يحدث التأثير وتتحقق الغاية المرجوة، وبناء على ذلك ينبغي موافقة نوع ومقدار الترغيب والترهيب لنوعية

ومقدار ما وضع لأجله. [الساعدي والزبيدي ٢٠٠٧م، ص ٢٤٠ -٢٤١]. لذلك يجب استخدام أسلوب الترغيب وبث روح الأمل وحسن الظن بالله وابتغاء ما عنده من الجزاء العظيم لأهل البلاء، فكلما زاد البلاء عظم الأجر والعطاء ورفعة الدرجات، وأنه دلالة خير للعبد المؤمن، فالمبتلى قد يغلب على قلبه اليأس والجزع لما أصابه وتغمره لحظات عصيبة وثقيلة، فيُصَبر ويُذكر بما أعده الله له إذا صبر واحتسب، وأن بعد الشدة الفرج، ومع العسر اليسر، وأن للبلاء أمد وسيقضي ويبقى الأجر والثواب.

أما الترهيب فيستخدم فيمن ابتلى بالسراء من النعم والخيرات من مال أو صحة أو ولد أو منصب ونحوه، وأنه قد يفتن بهذا الخير ويسيء التصرف مع المُنعم سبحانه، فيقع في إسراف وطغيان وقهر للعباد، وصرفها على وجه غير مرضي لله، فهنا يُنصح المبتلى ويُذكر بأهمية الشكر ويردع ويخوف بسوء العاقبة إذ لم ينتهي ويكف عن جحوده، فالجحود والطغيان قد تستوجب حلول الابتلاء وسلب النعم والعياذ بالله.

٤-**أسلوب القصة:** تبرز أهمية القصة من خلال أثرها العميق في النفس وما تتركه في فكر المستمع وذهن القارئ حيث تتجاوز ذلك إلى التأثير على السلوك والأفكار والأخلاق. [الحازمي، ١٤٢٦هـ، ص٣٨٩]. فالقصة من أبلغ الأساليب التربوية في التحفيز على الصبر وتحمل المسؤولية والمعينة على حسن التعامل مع الصعوبات والشدائد ولاحتوائها على الكثير من العبر والعظة، وقد ذكرت القصص القرآنية والنبوية العديد من المواقف التربوية في هذا المضمار وما آل إليه الصبر من نتائج جوهرية وجوائز قيمة في الدنيا والآخرة، كما أن كل مبتلى يجد في قصص الأنبياء عليهم السلام والسلف الصالح سلوى له في مصابه وإن طال ابتلاءه واشتدت الأزمة، فالمولى لا يضيع أجر الصابرين، والأسلوب القصصي أسلوب تربوي محبب لدى الصغار والكبار أيضاً، ينبغي للوالدين والمعلمين والقائمين في التنشئة الاجتماعية استثماره مع الناشئة والمراهقين بذكر قصص أهل الابتلاء بكافة أنواعها، وظروفها الزمانية والمكانية، وأسبابها وعواملها التي أوقعت المرء في الابتلاء، وكيف صبر واستعان بالله والتجأ إليه بصدق حتى كشف عنه كربه وضره؛ فالقصة تبقي آثارها الإيجابية في وجدان المتربي منذ صغره وتمتد معه إلى كبره فمتى ما وقع عليه أمر ما تذكر واتعظ واعتبر وفهم واجبه المناط عليه فيتمثل وينقاد.

٥-**أسلوب الخبرة:** مما لاشك فيه أن الابتلاءات والمواقف المؤلمة تولد الخبرة لدى الفرد المبتلى فتتوفر لديه معلومات وحلول للصعوبات التي واجهته وهي ما يسمى بالتربية بالخبرة. [الحمراني،٢٠١٦م، ص ٢١٩]. فتكون لدى الفرد القدرة على استشراف المستقبل والتفكير والتخطيط الاستراتيجي وعمل مشاريع وقائية لمنع حدوث وتكرار الأزمات؛ إذ أن الفرد تتكون لديه خبرة معرفية ومهارات تطبيقية في أسباب المشكلة، وكيف حدثت؟ ومكان وزمان الحدث؟ ولماذا حدث؟ ومعرفة الآلية المناسبة للوقاية والعلاج الذي يتواءم مع الحالات المماثلة بطريقة سليمة صحيحة كحال الطبيب في معرفة تفاصيل المرض وتاريخه وعوامله معرفياً وكيف يعالجه مهارياً.

نتائج البحث:

من خلال ما تم تناوله بحثه ودراسته عن سنة الابتلاء والقيم التربوية التي يتضمنها يمكن استخلاص النتائج التالية:

١. الابتلاء أمراً تكليفياً لا اختيارياً يُتعَبْد الله من خلاله ليس للعبد سوى التسليم والانقياد.
٢. تتعدد الابتلاءات وتختلف أنواعها بين الأفراد بعضهم البعض وأيضاً تختلف من مرحلة لأخرى تبعاً لقوة إيمان المرء وقربه من ربه وفي عموم اختلافها هي خاضعة لتربية من لدن الحكيم الخبير.

٣. الابتلاء ينزل على المؤمن بعلم الله وحكمته، ويرفع ويكشف برحمته وقدرته، فلا يعلم حجم الألم والمعاناة وصعوبة المواقف إلا الخالق فكان الابتلاء لتقريب العبد إلى الله وتعليق القلب به سبحانه.
٤. الابتلاء يكشف مسألة الأضداد ويجلي حقائقها؛ فمن يرى دهاليز الكفر وبؤس الكفار يظهر له تميز الإسلام ورفعة المسلمين، وأن رؤية المعاصي والموبقات تعرف حينها قيمة العفاف والفضيلة والحجاب، ومن يشاهد الحروب وضحاياها يوقن بقيمة الأمن والأمان والوطن.
٥. الأنبياء هم صفوة الخلق ووقوع الابتلاء عليهم مع خيريتهم وكمالهم البشري، يظهر حقيقة الدنيا وزوالها وهوانها، وأنها دار ابتلاء لا دار جزاء، كما أن ابتلاء الأنبياء والرسل عليهم السلام سلوى وجبر لكل محزون ومكروب ومبتلى وبيان للسلوك الأخلاقي الواجب اتباعه والاقتداء بهم.
٦. في الوقوف على سنة الابتلاء نجد فيها العديد من القيم التربوية العظيمة تناولت الدراسة بعضها من باب الذكر لا الحصر كالقيم الإيمانية والاجتماعية والفكرية والنفسية والاقتصادية .
٧. تتجلى في مواقف الأنبياء جميعهم عليهم الصلاة والسلام نماذج وضاءة في السلوك الأخلاقي في التعامل مع الابتلاء والمحن.
٨. تختلف الأساليب التربوية التي ينبغي للمبتلى ابتعاها تبعا لطبيعة الفرد وأيضاً تختلف بحسب مقتضى الحال.

التوصيات:

في ضوء ما تم التوصل إليه من نتائج فإن الدراسة توصي بما يلي:

١. استكمال الدراسات والأبحاث العلمية في باقي السنن الإلهية من منظور تربوي لما لها من آثار تربوية في إصلاح فكر الأفراد وسلوكياتهم.
٢. عقد دورات تربوية تدريبية مختصة في التعامل مع الابتلاء والأزمات وحل المشكلات وتوضيح الأساليب التربوية الفعلية في ذلك.

المصادر والمراجع

<u>المراجع العربية:</u>

- القرآن الكريم.
- إبراهيم، علي محمد، حسين، محمد الطيب (٢٠٠٥م) ابتلاء الأنبياء، ط١، مكتبة الآداب للطباعة والنشر، القاهرة.
- الألباني، محمد ناصر الدين (١٤٠٧هـ) صحيح سنن ابن ماجه . ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض.
- الأنس، رجب نصر موسى (٢٠٠٧م) سنة الابتلاء في القرآن الكريم، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، قسم أصول التربية، نابلس – فلسطين، رسالة ماجستير.
- ابن تيمية، تقي الدين أحمد عبدالحليم بن عبدالسلام (د.ت) مجموع الفتاوى، ج١٠-١١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا.
- ابن القيم الجوزية، محمد أبو بكر (١٤٢٩هـ)، مفتاح دار السعادة – ط١، ج١، دار عالم الفوائد، الرياض، تحقيق عبدالرحمن قائد.
- ابن القيم الجوزية، محمد أبو بكر (٢٠١٠م)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل. دار التراث، القاهرة، تحقيق: حسن عبدالله الحساني.

- ابن منظور، جمال الدين مكرم (١٩٩٠م) لسان العرب ، ج١٤، (د.ط)؛ بيروت.
- أبو جزر، ابتهال محمد رمضان (١٤٢٩هـ) العلاج الجيني للخلايا البشرية. الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، غزة، رسالة ماجستير.
- أبو سخيل، محمد إسماعيل سيد (١٤٢٨هـ) الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء في ضوء الفكر التربوي الإسلامي. الجامعة الإسلامية، كلية التربية، قسم أصول التربية، غزة، رسالة ماجستير.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٤٢٩هـ)، صحيح البخاري. ط١، ج٩، دار ابن كثير، دمشق.
- بابير، أحمد إدريس (١٤٣٧هـ) الابتلاء والصبر، ط٢، مطبعة هاوار- دهوك ، بغداد.
- الترمذي، محمد بن عيسى (١٤١٩هـ) صحيح سنن الترمذي، ج٣، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.
- الجرجاني، محمد علي الحسيني (١٩٦٩م) التعريفات، مكتبة لبنان – ساقه رياض الصلح.
- الحازمي، خالد حامد (١٤٢٦هـ) أصول التربية الإسلامية. ط٢، دار الزمان، المدينة المنورة.
- الحصيني، حاتم بن عبدالله بن سعد (٢٠١٨م) فلسفة التربية في القرآن الكريم وتطبيقاتها التربوية، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، العدد ٣٨.
- الحلبي، حنان خليل، أبو بكر، نشوة كرم (٢٠١٤م) الأزمات وأساليب التعامل معها لدى طالبات الجامعة (دراسة عبر ثقافة مقارنة) . مجلة العلوم التربوية، العدد ٣، ج ١، يوليو ٢٠١٤م، ص ص : ١٢١-١٥٨.
- الحمراني، حيدر خلف بنيان،٢٠١٦م، الخبرات التعليمية مفهومها وخصائصها، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، العدد ٩٣، ص ٢١٧ – ٢٣٥.
- الخطيب، محمد شحات (١٤٢٥هـ) أصول التربية الإسلامية. ط٢، دار الخريجي، الرياض.
- الخميس، محمد عبدالرحمن (١٤٢٥هـ)، شرح الرسالة التدمرية، ط١، دار أطلس الخضراء، الرياض.
- دوفش، محمد يوسف أحمد (١٩٨٨م) الابتلاء في القرآن الكريم. الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير.
- زيدان، عبدالكريم (١٤١٣هـ) السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الساعدي، ابتسام موسى، الزبيدي، وفاء كاظم(٢٠٠٧م) أثر استعمال الترغيب والترهيب في تحصيل تلاميذ المرحلة الابتدائية بمادة القرآن الكريم، مجلة كلية التربية الأساسية، الجامعة المستنصرية، العدد ٥٠، ص ٢٣٩ – ٢٧٢.
- سيلان، باسم محمد (٢٠١٤م) الابتلاء في القرآن الكريم، جامعة الإيمان، الجمهورية اليمنية، رسالة ماجستير.
- صاكال، فاطمة رمضان، الشيباني، عبدالسلام (٢٠١٧م) الفروق الفردية بين تنوع التدريس وتغريد التعليم، جامعة الزاوية، كلية التربية الزاوية، مجلة كلية التربية، العدد ٥٧.

- العسقلاني، ابن حجر أحمد بن علي (١٤٣٤هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج٨. دار الفكر، بيروت.
- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (١٤٠٨هـ) الجامع لأحكام القرآن. ج١٦، دار الكتب العلمية؛ بيروت.
- كاظم، أمل مهدي (٢٠١٤م) الأساليب التربوية في الفكر التربوي الإسلامي، مجلة دراسات تربوية، العدد ٢٥، ص ٤١-٦٤.
- مجمع اللغة العربية (١٩٧٠م) معجم ألفاظ القرآن. الهيئة العامة للتأليف. ط٢.
- مصطفى، إبراهيم، وآخرون (١٣٨١هـ) المعجم الوسيط ، ج١، مجمع اللغة العربية- مصر.
- ممدوح، نسمة السيد(١٤٣٦هـ) مفهوم القدوة وأثره على الفرد والمجتمع، رسالة ماجستير غير منشورة.
- النسائي، أحمد بن شعيب بن علي (١٤٠٦هـ) سنن النسائي، ج ٧، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري (١٤٠٧هـ) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ج ٣-٤ ، ا لمكتب الإسلامي ؛ بيروت ، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني.

مراجع أجنبية:

- Capon, LM., Washington D.C. (2015) . Marital conflict, childrens emotional security psychological adjustment: An observational study of the influence of marital positivy Ph D thesis, university of Anierica.